

المرأة وقانون السمعة



قطع الرجل لسانها

وأصبح هو وحده

صاحب الكلمة

فى يوم من الأيام وفى ليل الزمان ، سأل فيلموف حية . .

هل كان يسرك لو خلقت امرأة ؟

فقالت : أنا امرأة غير أن سمى فى الناب وسمها فى لسانها ! فكلام المرأة سم وحديثها

سم ولسانها سم والرجل لا يريد أن يموت مسموماً ..

الرجل يريد أن يعيش ! والحل ؟

الحل أن يقطع لسان المرأة ويخرسها .. وهذا هو ما فعله !!

* ولكن هل فعلاً لسان المرأة سم فى سم ؟

أبدأ والله ! .. فكلام المرأة حلو وحديثها عذب ولسانها عسل ..

بل إن لسان المرأة ' صرخدى العسل ' أى فى منتهى العسل .

وكلامها من ' العسل السعائيب ' أى فى طعم الشهد والرحيق .

وحديثها فيه ' الشفا والعنفوان ' ! .

ولولا كل هذه الصفات العسلية التى يتحلى بها اللسان الأثنى ، لما وهب شهريلو

راضيا أذنه لشهر زاد ألف ليلة وليلة ، وراح يسهر مع حواديتها ألف ليلة وليلة ، ولا

ينام ألف ليلة وليلة من شدة سحر كلامها المعسول ! .

فالحكاية فى منتهى البساطة والوضوح ، أن شهریار عندما ترك شهر زاد تتكلم كانت

النتيجة قصة ' ألف ليلة وليلة ' هذه التحفة الأدبية العالمية الوحيدة المنسوبة إلى امرأة !

* وهذا شئ يغيب .. يغيب الرجل بالطبع ! .

الرجل يفضلها خرساء ...

وكل الرجال ليسوا شهريار !

فالرجل يريد أن يكون وحده الكلمة وصاحب الكلمة .

والرجل فى منتهى الذكاء والعبقريّة .

فهو يعرف أن الكلمة أداة للسيطرة ، وأن من يملك الكلمة هو صاحب السلطة .

فالكلمة هى السلاح " الطبيعى " للجنس البشرى الذى لا يملك مخلبا ولا منقلبا .

فلو استولى الرجل وحده على الكلمة ، وحرم المرأة منها .. فسوف يحافظ على سيادته

عليها ، وسوف يقمعها ، وسوف يقنعها بأنها ضعيفة لا حول لها ولا قوة ... ولا يمكنها

أن تظل حية ترزق إلا بخضوعها له .

وهذا ما فعله الرجل ..

فقد أخرس المرأة وقطع لسانها المعمول حتى لا تتطق كلمة ! .

وأصبح هو الكلمة والكلام ، والمرأة هى الصمت والسكوت ، هو الكل فى الكل وهى لا

شئ .

ومنذ فجر التاريخ والسلطة فى يد الرجل ، والقوانين تحت يده والمرأة تحت أقدامه .

إنن لا توجد مشكلة .

فما أسهل عليه أن يثقل لسان المرأة بتشريعاته ويحكم عليها بالصمت نظريا وعمليا ،

ويحكم على عقلها بالظلام والجهل .

والتاريخ أكبر شاهد على هذه الحقيقة الخرساء الفصيحة ! ..

ففيما عدا بعض الفلتات أى النساء الفصيحات البليغات ، فقد ظلت المرأة خرساء وجاهلة

على مر الأجيال والقرون وحتى وقت قريب جدا فى أوائل القرن العشرين .

والأنلة والبراهين كثيرة .

ولمردها لا بد من مجلدات بمقدار سنوات عمر الرجل على الأرض !! ..

فاستبداد الرجل لا أول له ولا آخر .
ويكفى أن أنكر على سبيل المثال لا الحصر بعض ألوان المرأة المقهورة حتى فى لسانها
.. وكيف فرض الرجل وبتعسف على المرأة ' قانون الصمت ' .

هو السماء وهى " مكنسة " !

فى الصين وحسب مبادئ كنفوشيوس واتباع كنفوشيوس ..
كانت تعتبر المرأة " أكثر ما فى العالم فساداً وإفساداً " ..
إنها مجرد حيوان لإتجاب الأطفال .
فهى تعيش إلى جوار زوجها تحت نفس السقف ، ولكن بعيداً عنه .
فمنوع عليها أن تأكل من نفس الطبق الذى يأكل منه ، ولا أن تشرب من نفس الكوب
الذى يشرب منها .
فالمرأة ميكروب ولا ينبغي أن تلوّث الرجل !
فمهمتها على الأرض هى أن تخدم زوجها وتطيعه طاعة عمياء ، وتحمل غضبه عليها
وتصبر عليه مهما فعل ..
" فالزوج هو السماء ولا يمكن الهروب من السماء " ..
أى أن المرأة لا يمكن أن تهرب من زوجها حتى الموت ، فالطلاق لا وجود له .
ولكن عليها " أن تهرب من الضحك ومن الكلام " فعلى المرأة صمت الثغر واللسان ! ..
أما لو تكلمت " فعلى الرجل أن يبتسم لها ولا يستمع إليها " ..
كما جاء فى كتاب " لى كى " وهو أحد الكتب المقدمة عند أهل الصين .
• فالمرأة الصينية كانت مجرد قطعة أثاث فى بيت زوجها ، بل هى قطعة أثاث حقيرة .
فهى " مكنسة " ..

وأنا لا أبالغ فكلمة " : وجة " بالصينية مكونة من حرفين معناها ' مكنسة ' !

المرأة حذاء الرجل !

أما المرأة الكلدانية فى بابل .

فلم تكن مكتمة فحسب ، وإنما أيضا حذاء فى قدم زوجها يخلعه متى يشاء .
فى شريعة حمورابى كان من حق الزوج أن يطلق زوجته متى يشاء يكفى أن يقول لها
" أنت لست امرأة لى " .

أما لو تجرأت المرأة وقذفت زوجها بنفس هذه العبارة ، وقالت له فى لحظة غضب
ومسخط : " أنت لست لى زوجا " ..

فالويل لها فعقابها الموت بالفرق والهلاك فى النهر .

فالمرأة مهما أساء زوجها معاملتها ومهما أذلها وأهاتها عليها بالصمت والصبر
الصمت والإلا !

وهل وضع المرأة المصرية اليوم يختلف عن وضع المرأة الكلدانية منذ أربعين قرنا ؟
فلو طلقها الزوج أو من شدة عذابها طلبت الطلاق أفليس مصيرها هو الفرق فى نهر
قواتين الأحوال الشخصية ؟

بينما نجد أن المرأة الفرعونية فى القانون المصرى القديم المعاصر لقانون حمورابى
كانت تتمتع بكافة الحقوق والواجبات .

كما أن المرأة القديمة كانت تلعب دورا هاما فى الدين والسياسة والحكم وتولى العرش .
لأنها كانت تتكلم وكان لها لسان !
فما أكرم الرجل المصرى القديم !

اسمها الشر والذل ! .

اما المرأة فى اليونان ، فكانت لا تنقل تعامة وشقاء عن المرأة فى بابل .
وكانوا يسمونها الشر .
فهى الشر والشر بعينه .
فى يوم رأى الفيلسوف الإغريقى (ديوجنيسى) امرأة تفرق أمامه ويحملها السيل .
فقال : " شر أخذ شراً " ! .
وفى يوم رأى سقراط امرأة تحمل ناراً .
فقال : " نار تحمل ناراً " والحامل أشر من المحمول !
وفى يوم رأى الفيلسوف أبيقور امرأة فقدت عينيها ، فقال " ذهب نصف الشر " !
وكانوا أيضاً يسمونها الذل ويذيقونها الذل والمر .
وكل هذا والمرأة خرساء تتحمل نلها بصمت . " فصمت المرأة هو مجدها " .
كما قال أرسطو .

كمامة لقمها ولجام للسانها !!

أما المرأة عند الرومان .. فكانت مجرد " عجلة " .
يبيعها الأب للزوج ، وينفص الثمن الذى تباع به العجلة فى أسواق روما وما دامت
" المرأة العجلة " مثل أية بهيمة أخرى فى قطيع الماشية الذى يملكه الزوج ، فمن حقه أن
يفعل فيها ما يشاء ، وليس من حقها وكأنها بقرة أو جاموسة أن تتبرم أو تتنمر من
وضعها ! .
وبلغ استبداد الرجل الرومانى واضطهاده للمرأة الى الحد الذى حرّمها فيه عليها لا
نظرياً من الضحك ومن الكلام ..

فالمرأة ذات اللسان النضاح .

والتي لا يكف فمها عن الضجيج والصراخ والتي تقذف الرجل بوابل من قارص الكلام .. اخترع لها الرومان لإرغامها على الصمت الأبدى ، كمامة لفمها وشكيمة لسانها ! .
فبالكمامة يخرس لسانها النطاط ، وينقطع تيار كلامها ، وينشف معين كلماتها .. فلا تنطق كلمة ، وتخرس بالفعل وبالفعل ! .

أما الزوجة المثالية في نظرهم ، أى تلك التى تنجح فى كبت الكلام فى حلقها ، وخنقه فى حنجرتها طوال حياتها الأرضية ، فإن زوجها بعد انتقالها إلى السماء كان ينقش فوق قبرها كمامة ولجاما تحية وتقريظا لصمتها ! .

* والذى لا يصدقنى ، او لا يقوى عقله على تصديق هذه الوقائع والحقائق ، عليه أن يقرأ مؤلفات ليفوسى المؤرخ الرومانى العتيق الذى قضى ٤٠ عاما يسجل فيها تاريخ روما ! .

٩٩ زوجة لكتم أنفاسها ! .

* وقبل ظهور الإسلام كانت حالة المرأة فى البلاد العربية ، والبلاد المتاخمة لها ، لا تختلف كثيرا عن حالة المرأة الرومانية .

فى بلاد فارس كانت المرأة مجرد أمة أو عبدة رقيقة تقضى جميع أيام حياتها مسجونة بين جدران بيتها الصماء .. فليس من حقها أن تخرج عنها مطلقا ، وليس من حق عينيها أن ترى نور الدنيا الواسعة ، وليس من حق أنفها أن يتنفس الهواء النقى ، وكان من حق الرجل أن يحكم عليها بالموت أو ينعم عليها بالحياة حسب مزاجه .

فهى مجرد سلعة تباع وتشتري وتقتل ! .

* أما المرأة عند العرب .. فقد كان لها شأن عظيم وتأثير كبير .
ويكفى أن أذكر " الزباء " ملكة تنمر " وبلقيس " وملكة سبأ و " ماء السماء بنت عوف

* التى تولت الحكم ومن نسلها ملوك الحيرة .

فبصفة عامة كانت المرأة العربية معززة مكرمة بين قومها .. بل كانت * سيدة * بمعنى الكلمة ، إذا قالت كلمة انصاع لها الرجال ..

لأنها وبمنتهى البساطة كانت تملك فما " يتقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان ، يبين به عقل والف وجواب حاضر " على حد قول عمرو بن حجر ملك كندة وجد امرئ القيس .

ومع هذا فإن وضع المرأة فى الجاهلية الأولى ، وعند بعض القبائل العربية ، كان لا يمر له القلب ولا يرتاح له الفؤاد من شدة انحطاطه وامتهانه .

فالأب كان يند ابنته ويدفنها حية فى الرمال ، أو يبيعها ببيع الرقيق، أو يستبدل بها بعض رعوس الحيوانات .

فهى مجرد راس لا فرق بينها وبين رأس أیه بهيمة فى قطع الماشية .

ولذلك كان الرجل يتزوج بأى عدد يشاء من النساء ..

* بل لم يكن عربى ميسور إلا تراه متزوجاً ١٥ أو ٢٠ أو أحياناً ١٠٠ زوجة * كما جاء فى كتاب منحه الصادقين للملا فتح الله .

فالبنت بمجرد أن تطلق صرخة الحياة يكتم نفسها إلى الأبد .. والزوجة بمجرد أن تنتقل إلى بيت الزوجية تكتم أنفاسها وتخرس ٩٩ زوجة أخرى !.

وبمجرد ظهور الإسلام أزيلت تلك العادات الهمجية البربرية .

ومنح الإسلام المرأة كل الحقوق التى لم تتلها المرأة الغربية إلا فى القرن الأخير فسبق بذلك الشرع الإسلامى كل شريعته سواء فى تقرير مساواة المرأة بالرجل وأعلان حريتها

* وكان صدر الإسلام هو بحق العصر الذهبى للمرأة العربية .

قد كان لسانها فصيحاً وعقلها حكيماً ومخها مستقراً .

ولكن ما كانت المرأة العربية تتكلم وببلاغة حتى أخرسها الرجل شيئاً فشيئاً بهدوء ففى أول الأمر فى عهد الأمويين والعباسيين ، وبعنف فى آخر الأمر فى عهد الفاطميين .

سنة سوداء للمصرية !

• وأقسى ألوان الصمت والعذاب كان من نصيب المرأة المصرية وعلى يد الحاكم بأمر الله .. وكان الرجل مجنوناً بمعنى الكلمة .
وكانت سنة ٤٠٥ هجرية أى ١٠١٤ ميلادية ، هى أسود سنة فى كل تاريخ المرأة المصرية .

ففى هذه السنة أصدر الحاكم بأمر الله فرمائه العجيب بمنع النساء منعا باتاً من الخروج من بيوتهن ليلاً ونهاراً ، حتى الذهاب إلى الجامعات ممنوع ، وكأن النظافة ليست من الإيمان !

ومنعهن أيضاً من أن يطلعن على أسطح المنازل أو ينظرن من النوافذ !
كما منع صائعى الأحنية من صنع الأحنية لهم ،
ولما غضب التجار أمر بإغلاق حوانيتهم .

وبلغ الطغيان إلى حد أنه قتل بعض النساء لمخالفتهم هذه الأوامر ، كما هدم بعض الحمامات على من فيها من نساء .

فالمرأة يجب أن تكون بلا وجه وبلا جسد وبلا عينين وبلا قدمين !.
وراح يزيد الطين بلة والطنبور نفمة بأن حرام الحب على المرأة .

الحب ممنوع ؟! نعم ممنوع !

فبعد أن كتم أنفاسها فى البيت راح يكتم أنفاس قلبها ..

أى حكم عليها بالموت مرتين ..

ولكن القلوب أسرار وأبلا ..

فماذا يفعل المجنون لكى يتأكد من أن المرأة التى تحت حكمه لا تحب ؟ ..

راح ينشئ أول جهاز مخابرات فى العالم الإسلامى ..

فأعد حشداً من النساء المجائز أى من الجاسوسات الشيط الحافلات على الشباب وعلى

نضارة قلب الشباب .

وكلفهن بالإستعلام عن اخبار وأحوال قلوب النساء ..

من منهن تحب ومن هو حبيبها ..

وكانت التقارير والكثوف بأسماء المحبين والمحبات تتكدس كل يوم فوق مكتبه من العجائز الشمط .

أما مصير كل من يتكلم قلبها وتحب ، ومصير حبيبها أيضا فهو : الموت بالفرق في النيل .

• هكذا فرق المجنون على الأرض وفي الحياة بين كل اثنين في حالة حب ، ولكنه جمع شملهما في الموت !..

وكان من الطبيعي أن تكرهه النساء .. وأن يكرهه الرجال ..

وعبر الشعب المصري عن كراهيته بأسلوبه التقليدي : السخرية .

فصنعوا امرأة من الورق وألبسوها ملاء وحذاء ، ووضعوا بيدها الممدودة رقعة ورق على أنها تظلمُ ترفعه إلى الحاكم .

والورقة فيها سبه وسب أسلافه ، والدعاء عليه واللعنة له ، وكل شتيمة قد تخطر على بالك وتم نصب تمثال " المرأة الورق " في أحد الطرق التي اعتاد الحاكم أن يمر منها ، ولما رآها ظن أنها امرأة حقيقية فأمر بقتلها ..

ولما تبين الحقيقة جن جنونه وأمر بقتل الكثير من النساء وإحراق بيوتهن .

ودلوت معركة بين الشعب وجنود الحاكم استمرت ثلاثة أيام دمر فيها عن طريق الحريق ما يقرب من ثلثي القاهرة .

والحمد لله جاءت نهايته على يد امرأة .. ومن ؟

أخته ست الملك " أعقل النساء وأشدن حزما وأثبتن جنانا " كما يصفها ابن الصبابة .
فبايعت منها تم قتله في عام ٤١١ هجرية أي ١٠٢٠ ميلادية .

كفن وبرقع للكلام !

* ولكن هل بموت المجنون انتهى عذاب المرأة المصرية وصمتها الأخرس ؟ ..
أبدا ! ففي عهد المماليك والسلطنة التركية تحول كل رجل إلى الحاكم بأمر
الله على ' العبد ' بأمر الحاكم !
وظلت المرأة مظلومة وجاهلة وصامتة .

الأب يسوقها كالبهيمة إلى زوج .. والزوج يسجنها سجنا مؤبدا في بيته .. ويحكم إقفال
الأبواب عليها وإسدال الأستار على نوافذها والحجاب على مناقذ وجهها ! ..
فالزوجة التي يفخر بها الرجل هي ' المرأة التي لا تخرج من خدرها إلا محمولة إلى
قبرها ! '

وإذا خرجت لا تخرج إلا مخفورة أو منقولة في المحفات متحجبة متبرقة ملتفة بالأكفان
كما جاء وصفها على لسان كتاب هذه العصور المظلمة .

* ولم يكن حال المرأة في الغرب يختلف بكثير عن حال المرأة في الشرق .
فكم تعذبت المرأة من الصمت وبصمت في كل زمان ومكان ، وعلى مر العصور
والأجيال وحتى وقت قريب جدا .

فالرجل الذي ظل دائما ومنذ ليل الزمان هو الكلمة وهو صاحب الكلمة .. سجن لسان
المرأة داخل فمها ووضع فوقه برقع الصمت وسجن عقلها في جمجمة رأسها وغطاه
بكفن الجهل .. وسجنها في البيت وحجبها وبرقعها ولجمها ! ..
ولكن كل سجين مظلومة تنور على طريقته .. وتتكلم بأسلوبها ..
ولغة المظلومات الصامتات الخرس ، لغة أنثوية مائة في المائة .

فكيف تكلمت المرأة ؟

وبأية لغة ؟

وبأية لهجة ؟ ...

هذه حكاية أخرى وموضوع آخر .

بتوقيع " زوج سعيد " ارسل احد القراء رسالة للأستاذ / عبد الله باجبير رئيس تحرير مجلة سيدتى من المانيا يقول فيها :

أنا رجل عربى أحرص وزوجتى على قراءة " سيدتى " لأنها المجلة العربية النسائية التى تطرح موضوعات هامة وقضايا حساسة يعانى منها مجتمعنا العربى .

وقد قرأت موضوع " زوجى اصفر منى " كما قرأت فى باب " نافذة خاصة جدا " مشكلة الشاب الذى يريد الزواج بامرأة أكبر منه سنا .

وأعجبني طريقة معالجة هذا الموضوع الذى لا بد وأنه وقف ويقف فى طريق زيجات كثيرة ، يمكن أن تكون من أسعد الزيجات لو قدر لها " أن تكون ولو باركها المجتمع .

والذى أريد أن أقوله هنا أننى اعتبر نفسى من أسعد الأزواج على وجه الأرض .

وقد تعجب يا سيدى لو علمت أن زوجتى تكبرنى بعشرين عاما !!

لقد تزوجنا منذ عشر سنوات .

وصدقتى أن حبنى لزوجتى يكبر مع الأيام ، وأننى لم أندم لحظة خلال هذه الأعوام العشرة على أننى أرتبطت بزوجة تكبرنى بكثير .

لقد عارض والدى وعارضت والدتى فى البداية هذا الزواج ، ولكنهم الآن يحبون زوجتى ويحترمونها ويرحبون بها بينهما .

بل إنهما يحبونها أكثر من زوجة أختى التى تصغر زوجتى بخمسة وعشرين عاما .

إن الذى يبعد بين الزوج والزوجة ليس فارق العمر ، وإنما فارق التفكير .

أننا نشجع أبنائنا على إتباع سنة رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام .

فلماذا نعارض رغبتهم فى الزواج من امرأة تكبرهم سنا .

وقد تزوج رسولنا الكريم زوجته خديجة بينما هى فى الأربعين من عمرها ، وهو فى

الخامسة والعشرين !!! .

٥ اعترفت زوجة .

ممن يشتري زوجى

أهرب إعلان نشرته الصحف الأمريكية عندما عرضت زوجة زوجها للبيع !!
وقالت فى الإعلان إنها لم تعد قادرة على الحياة معه لأنه بخيل يتهرب من المسئولية
للزوج وأب أنانى يعيش لنفسه لكن الزوجة فوجئت فور نشر الإعلان بتهافت نساء
الغرباء على شراء زوجها فى حالة موافقتها على الطلاق منه فتراجعت وإعادت التفكير
فى بيعه .

وقالت إنها ستحاول أن تفكر فى مزاياه وتتأمل عيوبه .

الأختيار الوحيد .

لقد قررت أن احزم الحقائق ، واحمل طفلى وأقول لك يا زوجى العزيز جاء وقت يجب
أن تختار فيه .. لأن صبرى نفذ ، ونفدت معه كل محاولتى لاستعادة الحياة والحب
لاسرتنا الصغيرة .

فلك الآن .. والآن فقط .. أن تختار أما نحن وأما الغربة .

وما وصلت إليه من عذاب نما معى قبل تسع سنوات ...

واحكى لكم القصة .

تزوجت منذ عشر سنوات .

كل العالم كان جميلا .

زوجى العزيز بجانبى يغمرنى بالحب والعطف والحنان ، نعيش السعادة بكل معنى

الكلمة وقرر زوجى أن نساقر بلدا آخر حتى نستطيع أن ندخر شيئا من المال للمستقبل .

وسافرنا سويا .. وما هى إلا أيام حتى غاب زوجى عنى .

كان دائما مشغولا .

وبمجرد وصول مولودنا الأول بدأت الحقيقة تظهر أمامي كاملة .

زوجي أنصرف عني .

دائما خارج المنزل لا أجده بجانبى عند الحاجة .

كل ما اسمعه منه فى الصباح ' صباح الخير ' ويخرج ، وفى المساء يعود وأنا نائمة .

مئات المرات صبرت نفسى بأن الأمور سوف تتغير ، ونتغلب على الصعاب ، ونعود لبلاننا مرتاحين .

لكن الحكاية طالت والمنة جرت وراءها سنوات ، وبعدها سنوات طويلة رزقت خلالها بمولودى الثانى .

فى كل مرة اتحدث اليه عن المشكلة كان يطيب خاطرى ويقول لى : كل ذلك من أجل سعادتك أنت والأولاد .

وكبر الأطفال ، وشعرت بأنهم يحتاجون والدا يراعاهم ويعطيهم الحب والحنان والاهتمام يتجاوز معهم ، ويقدم لهم النصيح والتوجيه .

ولكن أين أنت يا زوجى العزيز ؟

قلتها لنفسي كثيرا قبل أن أقولها له .. كل شيء بالنسبة لك عمل ، ولا شيء آخر يطل على اهتمامك سوى العمل .

إلا تستأق لدفء أطفالك وضحكاتهم من حولك ؟

هل تعلم أن ابنتك كبرت وصارت فى عامها الثامن ؟...

وابنك الذى طرت فرحا به لأيام قليلة اصبح فى عامة الثانى ؟

لقد قلت لك كثيرا أن الحياة ليست التزامات مادية وبس ..

الحياة حب وعطاء متبادل بين جميع أفراد العائلة .

ولكن يا زوجى العزيز كنت دائما لا أجد منك إلا المال واللامبالاة بصرخاتى التى كانت

تخرج من قلبى المطعون .

وحتى الوقت الذى تجلسه — مجبرا — فى البيت اثناء الأجازات تفضل أن تضيعه فى القراءة ومع التلفزيون وفى اشياء أخرى لا أجد لها أهمية رعاية اولادك احبائنا .

لماذا اصبحت بخيلا يا زوجى العزيز ؟

تبخل على اولادك باللعب معهم والتحدث اليهم حتى يشعروا بأنك والدهم .

قل لى من فى الغربة يجلس معهم ويحدثهم غيرك وغيرى ؟

تصور اننى اظن احيانا أن الاولاد لا يفهمون معنى كلمة " بابا " لانك دائما غير موجود

وكأنك شىء خفى وكأننى اعيش وحدى .

أحيانا أعاتب نفسي ، وأجزّ على أناملى من الحسرة .

لماذا وافقتك على السفر والغربة ؟

ولماذا كل العذاب والصبر عليه حتى الآن ؟

حتى ما تغربنا من أجله لم يحدث فلم ندخر شيئا ، والتهم غلاء الأسعار وزيادة تكاليف

المعيشة كل ما اخبرناه ، واصبح كل شىء يصرف أولا بأول .

زوجى العزيز غمرا .. لقد حان الوقت الذى لا بد أن نحدد فيه سويا مصيرنا .

انصرفت عنى وعن بيتك وعن اولادك يا زوجى العزيز ..

وكانت دائما الحجة هى العمل .

وها نحن بعد مضى حوالى ٩ سنوات على غربتنا مثل أول يوم وصلنا فيه .. لم ندخر

أى شىء ولكن بالعكس خسرنا أشياء كثيرة ومنها الألفة والأهل والأصدقاء .

بالمعنى الأصح .. خسرنا الحياة .

فلك الآن أن تختار بين الغربة التى اخترتها أنت وبيننا .. ولا تنسى أننا سوف نجد فى

بلادنا المستوى اللائق لمعيشتنا .

يا زوجى العزيز عليك أن تختار ؟

فلا وقت نضيعه بعد الآن .

جاعنى العريس الجديد يطلب النصيحة فقلت له :

فات أوان النصيحة ، فأنت قد تزوجت بالفعل ، وعلى العموم أعلم يا ولدى أن المرأة تكره أن يواجهها الرجل بكلمة لا . لا صداقة مع هذه الصديقة ، لا لكذا ولا لكيت . غير أن الفلوس هى السبب الغالب فى كلمة لا .

والمرأة تتعب ، وتخطط . تحتال بكل دهاء الانثى لتضع على لسان الرجل عبارة ' حاضر يا حبيبى ' .

ولذلك فهم يتور مرتين أمام كلمة لا : مرة لأنه خذل مطلبها لها ، ومرة لأنه أهان انوثتها التى استعملتها سلاحا فلم تؤثر فيه .

وغالبا ما تعيد الزوجة الكرة دون اللجوء إلى بيت امها .

وإذا كانت الغيرة هى سبب المتاعب ، فالفلوس فى الزواج هى سبب معظم المشاكل والزوج العاقل هو الذى يعطى زوجته كل ما يدخل جيبه ويستريح .

والزوج الأعقل هو الذى يتعمد برومل القائد الألمانى الذى اشتهر بأنه ثعلب الصحراء فقد استطاع أن يخفى تحركاته عن جيوش الحلفاء ، ولكنه فشل فى أن يخفى دخله عن مدام رومل !

لقد اتيح لى ان اراقب بانما فى محل كبير بعاصمة اوروبية يشرف على قسم الفساتين الجاهزة ، راح يقدم لمسيده - فى صبر جميل - كل ما تشير اليه وتريد تجربته من فساتين ، ولم تختف ابتسامته لحظة ومع الفستان المابع الذى تجربته ، ولم يعجبها .

قالت السيدة للبائع : الحقيقة اننى جئت لاشترى نمية من قسم لعب الأطفال . فمیلاد ابنتى اليوم ، وقد امر عليك فى وقت آخر .

ومثل هذا التصرف من جانب تلك السيدة قد يكون سببا فى ظهور اسمها فى صفحة الوفيات أو على الأقل صفحة الحوادث ، لو أن هذا التعامل كان مع زوجها .

فبينما نرى الأزواج لا يطبقون صبرا على هذا الأسلوب نجد أن كلا من البائع ومصمم الأزياء لديهما غدة تفرز صبرا جميلا ولطفا .

غير أن تقليد البائع فى الصبر وطول البال والكلمات المنمقة أمر لا يكفى .

فهناك بديهيات تقليدية لا بد للزوج الحصيف من أن يعيها ، مثل :

أولا : أن تعطى زوجتك الأمان ، فهى تعرف أن الزوج مثلما وقع فى شركها وتزوجته فهو عرضة للوقوع فى شرك الأخرىات ، فتجنب كل ما يثير شكوكها ، ولا تدخل البيت مكتبب المحنة ، حتى لا تعتقد زوجتك أنك مهموم للقائها .

كذلك لا تدخل متهلل الوجه حتى لا ترتب فى نواياك .

ثانيا : دع زوجتك ' تغغم ' دون أن تنفق كثيرا فى الكلمات التى تصف العيشة معك فهذا التنفيس ضرورى للزوجة ، وفى ذلك قيلت الحكمة المأثورة :

التنفيس خير لك من أن توضع فى الكيس .

ثالثا : كن متسامحا مع زوجتك فيما يعقد الأمور كثيرا تمسك الزوج بأفكاره .

رابعا : إذا كان لابد من التقاهم حول موضوعات اسرية هامة ، واصدرت على رايك فليكن ذلك بينك وبينها فى غرفة مغلقة حتى لا تضعيب هيبتك أمام الاولاد .

خامسا : فى مناقشة الخلافات أعلم أن الزوج المهنذب لا ينطق العيب أبدا .

اما الزوج العاقل فلا ينطق اطلاقا .

سادسا : امتدح مهارتها فى طهو الطعام ، ولا مفر من أن تتدرب على مذاق طعامها ، وأنت تترحم فى سرك على الأيام التى كانت تطهو فيها أمك طعامها الشهى .

سابعا : احترم من الوقوع فى مصيدة التناقض خلال احاديثك معها ، فأحتفظ فى مكان عملك بمفكرة صغيرة تدون فيها احاديثك عليها أولا بأول .

ثامنا : من المفيد جدا صحيا أن تنتهز من وقت لآخر فرصة غيابها عن البيت هى والاولاد لكى تبكى على أحوالك .

الزوجة الأخطبوط !

هذه الزوجة لا كلمة على لسانها سوى : أنا أريد .. أماما تريده فهو كل شيء الحب والحنان والأهتمام وأيضاً الفلوس !.. لا تعرف حداً لما تريده تعونت على الأخذ فهي لا تعرف العطاء ولا تعرف بل أن كلمة حب .. اهم من كنوز الدنيا .

فى السوق قال سقراط حكمته الشهيرة .. إلا ما أكثر الأشياء التى لا أريدها . وأكثر ما عذب سقراط هو جهل وحق زوجته وأنائيتها .

وأغلب الظن أن سقراط لم يشعر بمرارة السم الذى تجرعه قبل أن يموت ، لأن سقراط كان يتجرع السم يومياً على يد زوجته التى لم تكن ترى فيه إلا إنساناً عاطلاً لا تنفع فيه سوى ذلك الهراء الذى يعلمه لتلاميذه .

ومن حسن حظ سقراط أن زمانه لم يعرف النفط . ولا السفر للدول العربية من أجل جمع الدولارات وإلا كان قد أنفق حياته عن عقد عمل فى دولة عربية ، ليس من أجل تعليم الحكمة والفلسفة . والبحث عن الحقيقة .

ولكن من أجل الحصول على الدولارات ، إرضاء لزوجته !

فهذه زوجة لا تكل أنانية عن زوجة سقراط ، ترى الحياة من زاوية واحدة ، هى زاوية الأخذ فقط ، هذا المنطق فى الحياة تعونته وأمنته . وعذبت به زوجها الأستاذ الجامعى الذى وجد نفسه على سفر دائم ، فبمجرد أن ينتهى عقده مع جامعة فى السعودية ... تطالبه بالبحث عن عقد جديد فى الكويت .. يستغنون عنه فى الكويت ، تدفعه للتعاقد مع الإمارات ، يعود من الإمارات تقترح عليه أن يجرب البحرين .

فى كل مرة تصطنع مطلباً جديداً وملحاً .

مرة من أجل شراء شقة جديدة ، ومرة أخرى من أجل تأثيثها وفرشها ، ومرة ثالثة من أجل سيارة حديثة ، ومرة رابعة من أجل تأمين مستقبل الأولاد .

وكل ما يجمعه الرجل هو قليل في نظرها ، فهي في حالة احتياج دائم ، ونهم كبير لمزيد من المال .

بعد عشرين عاما من اللف على الجامعات ومضغ مرارة الغربة .

أحس الرجل بأنه تعب ففكر أن يستريح ، وشعر أن إنسانيته قد أهدرت .

فقرر أن يسترد وعيه بالحياة . وأحس أنه نسى أبحاثه ودراساته كـمستأذ جامعي قدير .. فقرر أن يتفرغ لهذه الأبحاث ، وشعر بحنين إلى العودة للوطن ، واشتياق لرؤية اننيل .

والجلوس مع أصدقائه في المقهى ، والأهم من ذلك أنه اشتاق لزوجته .. أراد أن يأخذ منها مثلما أعطاها .. أن تتفرغ له قليلاً لأنها انشغلت عنه طويلاً برصيد البنك ، وحساب الأرباح وارتفاع سعر الدولار وهنا قامت القيامة ، وكأنها تريد أن تصادر حقه في الحياة ، وفي أن يعود إليها ، وإلى أولاده ، وإلى نفسه ، فهي لم تعرفه كإنسان له مطالب ومشاعر .

ولكن عرفته آلة تطفئ تعطشها الدائم إلى المال والنقود ، وترضى غرورها ورغبتها في المباهاة . والمظهرية .. وطلبت الطلاق !

أما هذه الزوجة ، فأترك الحكم عليها إلى نهاية القصة ، هي من عائلة ريفية بسيطة ، لم تتل إلا قصداً بسيطاً من التعليم إنسانة لا تجد ما تنبأى به إلا مسحة من الجمال . عوضتها عن فقرها ورقة حالها .

المهم أن الأقدار ساقها في طريق شاب من عائلة غنية ، تلقى تعليمه في أوروبا ، وعاش فترات طويلة من حياته هناك ، ولكنه كان يرفض رفضاً تاماً الزواج بأجنبية ، وأنفق سنوات من حياته في البحث عن فتاة مصرية ، يتخذها زوجة له ، حتى قابل هذه الفتاة .

فأعجبته ولم يفكر كثيراً قبل أن يقرر الارتباط بها .

طبعاً اعترضت عائلته على هذا الزواج لسببين :

السبب الأول أن الفتاة من عائلة شديدة الفقر ، ومن طبقة لا تتناسب أبداً مع طبقة أسرته ووضعتها الاجتماعي .

والسبب الآخر انه يكبرها بخمسة عشر عاماً .. ولكنه لم يعبأ بأية اعتراضات ، ولا حتى بتهديد عائلته بمقاطعته ، إذا هو أقدم على هذه الزيجة !

بل إنه شعر بعد فترة بسيطة من الزواج ، أن الإنسانية التي ارتبط بها هي كل حياته ، وإنها يكفى أن تطلب أى شيء حتى لو كان قطعة من السماء لكى ينتزعها لها ..

المهم .. أن الإنسانية البسيطة فجأة وجدت نفسها قد انتقلت إلى عالم آخر ودعت عالم الفقر ، وانتقلت إلى عالم الفخفة والنعيم ، والثراء الفاحش .

فهى تعيش فى قصر منيف بأرقى المناطق ، وفى انتظارها سيارة وسائق ويرعى شئونها عدد من الخدم . ويكفى أن " ترمش " لتجانب جميع مطالبها .

فوق ذلك فإن الحظ كان كريماً معها بغير حدود ، فأسعدها بزواج ابن ناس يحبها ، أكثر مما يحب نفسه ، وعلى استعداد لإجابة ما طلبها أيا كانت هذه المطالب .

المهم أن هذا الشاب وكأته قد قرر أن يعيد أسطورة بجماليون سعى إى أن يجعل من زوجته إنسانة أخرى ، فبذل جهداً فائقاً فى تعليمها والارتقاء بها ، ونجح فى ذلك نجاحاً باهراً .

لم يتوقعه أحد ، لأنها بالفعل تحولت إلى إنسانة جديدة تجيد التعامل مع المجتمعات الراقية ، والسلوكيات المتحضرة ، بل الأكثر من ذلك أنه شجعها على إكمال تعليمها ولم يكن يعوزها الذكاء ، فوصلت إلى المرحلة الجامعية .

هل بعد كل ذلك يمكن لأحد أن يفكر بأن شيئاً ما ينقص هذه الإنسانية .

طبعاً الجميع كانوا يحسدونها على السعادة التى غرقت فيها حتى أنبيها ..

ولكنها لم تكن لترضى أبداً كانت كل يوم تبحث عن مطالب جديدة ، تفاجأ بها زوجها لم تكن تكفيها هداياه وعطاياه وحبه وحنانه ، واستعداداته الدائم لأن يكون تحت أمرها .

أو حتى تحت قلميها كانت تقبل كل ذلك بالحدود والنكران .. وتتيه عليه بأنّها فى ريعان شبابها .. أما هو فقد أصبح فى خريف العمر .

فى يوم من الأيام ، فوجئ الزوج بأن زوجته تطلب الطلاق !!! حاول أن يعرف منها السبب ، أن يجعلها تتراجع ، إن لم يكن من أجل العشرة التى بينهما . فمن أجل الأبناء .

ولكنها كانت مصرة إلى أن تكشف الأسباب ، لقد أحببت زميلاً لها فى الجامعة يصفرها بأعوام ، أو همها أنه يحبها وسيتزوجها ، لم يتحمل الزوج أن تصل الأمور إلى هذا الحد وبالفعل وافق على الطلاق بشرط أن تتنازل عن كافة حقوقها ، إم كان لها حقوق وبالفعل تنازلت ، وتم الطلاق وتركت زوجها وأولادها من أجل الشاب الذى غرر بها وهرب منها ولم يتزوجها .

ولم تجد ما تفعله إلا أن تعود إلى أهلها وحياة الفقر التى كانت قد ودعتها . فما هو الحكم فى هذه الزوجة !

أما هذه الزوجة فهى حالة غريبة بين الزوجات مستحقه الدراسة .. فهى سليطة اللسان إلى الدرجة التى لم تضبط فيها مرة واحدة تنهى على أحد .. وهى دائماً فى حالة تهكم وسخرية من زوجها ، ووضعها المفضل بأنه " عزة الدجالة " .

ولأنها دائماً تطلب من زوجها ما فوق طاقته فإن الرجل وطن نفسه على سماع مألذ وطاب من الشتائم والتوبيخ فى حالة عجزه عن إجابة تطلب أو إنجاز مهمة كافة بها . مشكلة هذا الرجل إته (محامى) على قد حاله ، يخرج فى الصباح الباكر بعد أن تكون قد ألقت على مسمعه قائمة طويلة وعريضة من الطلبات . تستزف زوجها دائماً .

ويعود فى منتصف الليل منهكاً بعد يوم طويل متعب .. فيأكل وينام .. تقضى هى النهار فى الحديث مع الجارات عن ذكرياتها والأيام الجميلة قبل زواجها .

أيام ماكانت ترفل في العز عند أبيها ..

ولكن حظها العاثر هو الذى جعلها ترتبط بهذا الزوج الذى لا يعرف قدر زوجية ، وهى طبعاً " تلفهم " هذا الحديث بحديث آخر عن أختها وزوجها الشاطر الذى يكسب الشيء الفلان . والذى لا يدخل على زوجته إلا وهو محمل بأشياء اشكال وألوان .

ومشكلة هذا الزوج إن إرضاء زوجته ضرب من المستحيل ، فإن فكر أن يفاجئها بهدية تقبلتها ببرود شديد ، بالإضافة لمحاولة الإقلال من قيمتها وتذكرة بما يهديه زوج أبنه خالتها أو زوج أبنه عمها لزوجته .

وإن حاول أن يطيب خاطرها بكلمة حلوة أو كلمة غزل نهرته .. ووبخته وقالت عنه أنه يعانى من مراهقة متأخرة !!

والأن ما رأى علم النفس فى هذه الزوجة ؟

تقول الدكتورة / ليلي الموصلى : أن شخصية هذه الزوجة شخصية هسيترية ، تتميز بالتقلب والتغير السريع ، وتحاول الشخصية المعابة بهذا المرض أن تحقق مطالبها بأية طريقة ويتغيرات أحياناً تأخذ شكل العنف والاحتجاج والأنفعال الشديد الذى ربما يؤدي إلى إصابتها بعمى مؤقت ، حتى يتحقق لها ما تريد ، وهى فى الغالب شخصية تحب أن تكسب عطف الناس ولكن إحساسها تجاه الآخرين متبذل .

والشخصية المضادة لهذه الشخصية هى الشخصية الحساسة المعطاة التى تشعر بالامتنان تجاه الآخرين ، وتفضل مبدا المشاركة فى التعامل مع الطرف الآخر فى الحياة الزوجية وهى طبعاً الشخصية السوية المطلوبة .

ومما يساعد على وجود هذه الشخصية هى الحياة فى مجتمع استهلاكي يتم تقييم الإنسان فيه بقدر ما يمتلك أو يقتنى من اشياء لا يستطيع الآخرين امتلاكها ..

ويصبح التفاخر والتباهى سمتان اساسيتين لهذه الشخصية .

أما الدكتور / عبد الفتاح عثمان استاذ علم الاجتماع يقول :نترجع هذه الحالة إلى قلق المرأة وتوجسها من المستقبل ومحاولتها تأمين هذا المستقبل عن طريق الاستنزاف

المنظم لزوجها خاصة أن الزوجة حاليا تعيش مستقلة تماما عن عائلتها التى تشكل بالنسبة لها عامل الأمان قبل أن تتزوج ...
ويضيف قائلا : إن هذا القلق قد يصيب بعض النساء بأنانية عدوانية وتركز حول الذات .

فهي لا ترى ولا تهتم إلا بنفسها خاصة إذا كانت هذه الزوجة مرتبطة بزواج دخله من النوع المتغير أو يعمل بالأعمال الحرة التى تعتمد على صعود وهبوط السوق فيصبح الخوف من المستقبل هو الذى يحدد أفعال ومطالب هذه المرأة .
إن الأسباب التى تسهم فى وجود هذه النوعية من النساء طبعا الآثار الجانبية للمسافر وتعمل بخارج لأن الزوجة تعيش فى مستوى معيشى مرتفع واستثنائى ثم ما يلبث أن يتغير هذا الأسلوب المعيشى يأخذ مساره نحو الأعداء .
بالشكل الذى لم تتعوده الزوجة لهذا المستوى دون أن تسأل نفسها كيف :
وأخيرا يرى الدكتور/ عبد الفتاح عثمان أن هذا السلوك هو انقطاع للمناخ النفسى العام من الأنانية .

وصية غالية لكل عروس ..

أوصى أبو الدرداء زوجته فقال :-

خذى العفو منى تستدبى موتى ، ولا تنطقى فى ثورتى حين أغضب .
وأوصى عبد الله بن جعفر ابنته فقال :

* اياك والغيرة فإنه مفتاح الطلاق عليك بالكحل فإنه أزين الزينة وأطيب الطيب الماء *
ونصحت أم اياس ابنتها عند الزواج بعشر وصايا فقالت :

*أى بنيه إعلمى لو أن امرأة إستغنت عن الزواج لغنى أهلها لكنت أغنى الناس ، ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال

يا بنيتى .. إحفظى عنى عشر خصال تكن لك ذخرا ..

أما الأولى والثانية فالمعاشرة له بالرضا ، والقناعة وحسن السمع والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لموضع أنفه وموضع عينيه ، فلا تقع عيناه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب الريح .

وأما الخامسة والسادسة فالهدوء عند منامه والتفقد لموضع طعامه ، فإن مرارة الجوع ملهيه ، وتتغيص النوم مغبه .

وأما السابعة والثامنة فالإحتفاظ بماله والإدعاء على حشمه وعياله .

وأما التاسعة والعشرة فإياك أن تعصى له أمرا أو تقضى له سرا ، فإنك إن عصيت أمره أو غرت صدره وإن أفضيت سره لم تأمنى غدره .

وأعظك بعد ذلك من الفرح إن كان ترحا ، أو من الترح (الحزن) إن كان فرحا .